مات غاندى ! . .

فى الشهر الماضى نعى إلى العالم المهاتما غاندى، زعيم الهند الأكبر وأعظم رواد الحرية والديموقراطية فى العالم . فقد أطلقت عليه الرصاص يد آثمة . . وهكذا خبا ذلك الكوكب الوضاء الذى ظل ردحا من الزمن ينير للهند وللعالم سبيل الحرية والخلاص من أغلال الاستعباد .

مات غاندى . . ولكن ذكراه ستبقى خالدة تلهم كل ذى رسالة عليا فى هذه الدنيا، وستظل سيرة حياته العريضة منتجع الدعاة والمصلحين ، تمدهم بأسباب الصبر ووسائل الجهاد على كر العصور والدهور .

لم يكن غاندى زعيم أمة فحسب بل كان إنساناً عظيم الإنسانية . ولم يكن حبه للهند وجهاده فى سبيل إعادتها إلى حياة النور والحرية إلا شطراً من حبه للإنسانية وشغفه بسعادتها ، وفى سير حياته على ذلك أصدق الأدلة .. !

فلا غرو إذا شعر كل إنسان فى الشرق والغرب بجلالة الرزء فى موته ، لقد كان ابن الإنسانية قبل أن يكون ابن الهند .. !

كما كانت حياته جهاداً مراً وكفاحاً مستمراً فى تحقيق أهدافه السامية التى تشربها قلبه الكبير ، وكان يقابل أحلك الساعات وأحرج المآزق بنفس مطمئنة وثغر باسم . . !

إن فى حياة غاندى لعبراً وأى عبر ، لا يعرف الباحث ماذا يأخذ منها وماذا يترك ! ! فكلها حقيقة بالنظر والاعتبار ، وكلها تمثل الإنسان العظيم أجل تمثيل ، على أن الصدق فى القول ، والإخلاص فى العمل ، وضبط النفس عند اشتباه المسالك واضطراب الأمور ، أروع صفات هذا الزعيم العظيم وأقدرها على الإيحاء ، وبها وحدها استطاع أن يهيمن على مصائر قومه ويستولى على نفوسهم ، وعليها كان اعتماده فى تصحيح القيم الأخلاقية ، والاجتماعية فى وطنه ، وقد نجح فى ذلك إلى حد كبير لا يقل عن نجاحه فى تركيز الوطنية والحرية . . !

مات غاندى برصاصة أطلقها عليه فتى طائش من قومه تحقق بذلك المثل القائل : لا تأتى المصائب إلا من الأقارب .

مات غاندى ، لأن جمهرة الناس لا تزال — كما كانت من قبل — تأخذ بالحكمة القائلة « خير الأمور الوسط » فهى تهاجم الأعالى والأسافل . .

مات غاندى .. ولكن عقيدته لا تموت ولن تموت وستظل حرباً عواناً على طغيان السيف وجبروت المادة ، لأنها الحق الذى لا يشيب ، والحرية التى لا تهرم ، والسلام الذى لا يزيده ترادف الحروب على الحروب إلا أنصاراً على أنصار .. !

من كلمات غاندى

◆ والسجن الذى أنا فيه ميزة دينية فى نظرى أكثر منه ميزة سياسية وإذا كان السجن تضحية فإنى أريد أطهر التضحيات :

◆ أريد أن أضمن العمل والرزق لا لفريق فقط من الناس ، بل لكل الناس فلن أعطى الثروة لأقلية على حساب الأكثرية :

◆ كلما ازددت اقتراباً من التلاميذ عرفت أن الكتب ليست السبيل لتقديم التربية الروحية . فكما أن التربية البدنية تعلم بالتمرين البدنى . والتربية العقلية بالتمرين العقلى ، كذلك التربية الروحية ليست ممكنة إلا عن طريق التدبير الروحى . وهو يتوقف على حياة وأخلاق المدرس

◆ القوة لا تنجم عن قدرة بدنية إنما تنبعث من إرادة صلبة ، عدم العنف لا يعنى خضوعاً ضعيفاً لإرادة فاعل الشر بل يعنى وضع كل نفس الإنسان ضد إرادة الظالم . يستطيع فرد واحد إذا عمل بهذا المبدأ أن يتحدى كل القوى لإمبراطورية ظالمة ويمهد لسقط هذه الإمبراطورية أو لتجديدها :